فضـــل البيـــت

جعـل البيـت مثاباً لهُـم　　ليسَ مِنهُ الدَّهرُ يقضون الوطرْ

١١١

□ فضل الحجر الأسود □

الحجر الأسود بتقبيله تبيض الوجوه، ويسعد من يؤمه ويرجوه، هو يمين الله في بلاده، يصافح بها من أمه من عباده ، عنده تنسكب العبرات وتذهب الحسرات .

طف واستلم ركنًا لأشرف منزل واخضع وذل تفز بكل مؤمل

إن الله من رحمته بعباده يذكرهم بالجنة ويسعدهم بآثارها ، ويشوقهم إلى رياضها وأفنانها .

لا سكنّ الله قلبا عَنّ ذكركمُ فلم يطر بجناح الشوق خفّاقا

والحجر الذي يقبله الناس في ضراعة وتجري دموعهم على خدودهم .

تَعَلَّقَتْ بستار البيت ضارعةً يداهُ .. زاخرةً بالشوقِ أضْلُعُهُ
ويلثم الحجرَ الميمونَ .. شاهدةً على تفانيه في الإيمان أدمُعُهُ
وفي الجوانح من وجدٍ ومِنْ وَلَهٍ ماجاش في النفس حتى فاض مُنْزَعُهُ

الحجر وما أدراك ما الحجر!! إنه من الجنة.. يالله من الجنة شيء على الأرض ثم لا نشتاق إليه... ثم لا نذرف الدموع عنده وَحوَاليه، ثم لا نلثمه بشفاه القلوب ووجيبها.

قال ﷺ : « الحجر الأسود من الجنة »[1].

---

(١) صحيح : رواه أحمد في مسنده عن أنس ، ورواه النسائي عن ابن عباس، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٣١٦٩ ، والأحاديث الضعيفة ٢٦٤٥ . قال ابن حجر : رواه النسائي من طريق حماد بن سلمة عن عطاء مختصرا وحماد سمع من عطاء قبل الاختلاط .

وقال ﷺ : « الحجر الأسود من حجارة الجنة »(١).

لثمت وجهك والذكرى تؤرقني ... وروعة الألم القدسي تحرقني
يا حارس القبلة العصماء معذرة ... من مدنف غارق في الإثم والإحن(٢)

وعن ابن عباس مرفوعا « نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشدُّ بياضاً من اللبن فَسَوَّدَتْهُ خطايا بني آدم »(٣).

وقال ﷺ : « كان الحجر الأسود أشد بياضا من الثلج ، حتى سوّدته خطايا بني آدم »(٤).

نقل الحافظ في [الفتح] عن المحب الطبري قوله : في بقائه أسود عبرة لمن له بصيرة، فإن الخطايا إذا أثرت في الحجر الصلد ، فتأثيرها في القلب أشد .

يا هذا سودت الخطايا الحجر وهو من الجنة ، وأنت من التراب ومن الأرض ، فانظر سودته وهو صلد ، أفلا تنكس القلب إذا عصى وهو من لحم ودم !! .

قال المناوي في [فيض القدير] (٦ /٢٨٢) : « لم يبيضه توحيد أهل الإيمان ؛ لأنه طمس نوره لتستتر زينته عن الظلمة ، فالسواد كالحجاب المانع من الرؤية ، أو لأن اسوداده للاعتبار ليعرف أن الخطايا إذا أثرت في الحجر ففي

(١) صحيح : أخرجه الطبراني في الأوسط، والبزار، والبيهقي في شعب الإيمان وسمويه، وضعفه المناوي، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٣١٧٠..

(٢) ديوان عصر الشهداء ص٨٧ لنجيب الكيلاني ، مؤسسة الرسالة .

(٣) صحيح : قال ابن حجر في الفتح ٣ /٥٤٠: « أخرجه الترمذي، وصححه وفيه عطاء ابن السائب وهو صدوق ، لكن اختلط ، وجرير ممن سمع منه بعد اختلاطه ، لكن له طريق أخرى في صحيح ابن خزيمة فيقوى بها، وصححه السيوطي، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٦٦٣٢، وتخريج المشكاة رقم ٢٥٧٧ .

(٤) صحيح : رواه الطبراني في الكبير، وابن خزيمة، والترمذي، والضياء عن ابن عباس، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٤٣٢٥ .

القلوب أولى » .

وقال المناوي [في الروضة] عن الزبير بن بكار حكاية : كون الخطايا سَوّدته دون غيره من حجارة الكعبة وأستارها إلى العهد الذي أخذه الله على ذرية آدم ، أن لا يشركوا به ، كتبه في صكّ ، وألقمه الحجر الأسود .

فلما اسودّ قلب العبد بالشرك والمعاصي لمّا حال عن العهد ، فصار قلب ابن آدم محلا لذلك العهد ، والحجر محلّا لما كتب فيه العهد ، فتناسب إذ اسوّد قلب ابن آدم من الخطايا بعد ما ولد عليه من ذلك العهد ، أن يسوّد الحجر بعد بياضه وكانت الخطايا سبب ذلك .

قال المناوي (٦ /٢٨٢) : احتمال إرادة الظاهر غير مدفوع عقلًا وسمعًا .

بل الحمل على الظاهر الأساس ، ولا حاجة مطلقا إلى التأويل فليس هذا مذهب أهل السنة .

قال ابن حجر في [الفتح] (٣ /٥٤١) : « اعترض بعض الملحدين على الحديث الماضي فقال : كيف سوّدته خطايا المشركين ولم تبيضه طاعات أهل التوحيد ؟ وأجيب بما قاله ابن قتيبة : لو شاء الله لكان ذلك ، وإنما أجرى الله العادة بأن السواد يَصبغ ، ولا ينصبغ على العكس من البياض » اهـ .

قال المناوي بعد ذكره لأحاديث الحجر :

« في الحديث فوائد منها : امتحان إيمان الرجل ، فإن كان كاملا يقبل هذا فلا يتردد ، وضعيف الإيمان يتردد والكافر ينكر » .

قال ابن العربي: هذا لا يؤمن به إلا مَنْ كان سُنيًّا، والقدرية تنكره من وجهين:

أحدهما : أن الجنة بعد لم تخلق .

والثاني : أنه زاد في عدة أخبار أن الخطايا تسوده ، وهي لا تسود ولا تبيض حقيقة ولا توليدا. وقد أقمنا الأدلة الواضحة على أن الجنة مخلوقة الآن،

وأن تعلق السواد بالأبيض، والبياض في الأسود غير مستنكر في القدرة[١].

عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعا: إن الحجر والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة ، طمس الله نورهما ، ولولا ذلك لأضاءا ما بين المشرق والمغرب[٢].

قال المناوي : قال المظهر : لما كان الياقوت من أشرف الأحجار ، كان بعد مابين ياقوت هذه الدار الفانية ، وياقوت الجنة ، أكثر ما بين الياقوت وغيره من الأحجار ، فأعلمنا أنه من ياقوت الجنة ؛ ليُعْلِم أن المناسبة الواقعة بينه وبين أجزاء الأرض في الشرف والخاصية ؛ كما بين ياقوت الجنة وسائر الأحجار[٣].

وقال ﷺ: «إن مسح الحجر الأسود والركن اليماني يحطان الخطايا حطًا»[٤].

فيا لجود عطاء الملك.. ويا له من حجر كريم ميمون يأتي مسحه بغفران الذنوب.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ :

« لولا ما مَسّ الحجر من أنجاس الجاهلية ما مَسَّهُ ذو عاهة إلا شُفي ، وما على الأرض شيء من الجنة غيره »[٥].

---

(١) فيض القدير ٣ /٤٠٨ .

(٢) « أخرجه أحمد في مسنده ، والترمذي، وصححه ابن حبان ، وفي إسناده رجاء أبو يحيى وهو ضعيف، قال الترمذي : حديث غريب . ويروى عن عبد الله بن عمرو موقوفا ، وقال ابن أبي حاتم عن أبيه: وقفه أشبه والذي رفعه ليس بقوي » اهـ كلام ابن حجر في الفتح ٣ /٥٤٠ .

(٣) فيض القدير ٣ /٤٠٩ .

(٤) صحيح : رواه أحمد في مسنده، والترمذي، والطيالسي، والحاكم، وابن حبان . وصححه السيوطي، والألباني في صحيح الجامع برقم ٢١٩٠، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده قوي .

(٥) أخرجه البيهقي في سننه، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٥٢١٠ .

أودع إقرارك يوم ﴿ ألست ﴾ الحجر الأسود ، وأمرك بالحج لتستحي بالتذكير من نقض العهد .

الحجر صندوق أسرار المواثيق . مستمِلٍ لما أملى المعاهد ، منشتملٌ على حفظ العهد ، فاستلم المستملي المشتمل ، ليعلم أن إقرارك لا عن إكراه .. لا تنس عهده فإنه لا ينساك ، يصدق فيك قول القائل .

فلا تحسبوا أني نسيت ودادكم فإني وإن طال المدى لست أنساكم
حفظنا وضيعتم ودادًا وحرمة فلا كان مَنْ في هجرنا اليوم أغراكم

كم شخص أشخصه الوجد إلى الحج ، فكاد نشابه المواثيق قبل تقبيله تقتله ، فلما قضى الناسك المناسك، ورجع بقي سهمُ الشوق إليه في قلب منى المنى .

يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

عن ابن عباس مرفوعا : « إن لهذا الحجر لسانا وشفتين يشهد لمن استلمه يوم القيامة بحق »[(١)].

وقال رسول الله ﷺ : « ليأتين هذا الحجر يوم القيامة له عينان يبصر بهما ، ولسان ينطق به ، يشهد على من استلمه بحق »[(٢)].

وقال ﷺ : « والله ، ليبعثنه الله يوم القيامة - يعني الحجر - له عينان يبصر بهما ، ولسان ينطق به ، يشهد على من استلمه بحق »[(٣)].

---

(١) إسناده صحيح على شرط مسلم :
قال ابن حجر في الفتح ٣ /٥٤٠: « رواه ابن خزيمة، وصححه ابن حبان، والحاكم وله شاهد مِنْ حديث أنس عند الحاكم أيضا». وأخرجه أحمد، والضياء، والدارمي وابن ماجه.

(٢) صحيح : رواه البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس ، ورواه ابن ماجة أيضاً، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٥٢٢٢ .

(٣) صحيح : رواه الترمذي عن ابن عباس ، وكذا رواه ابن خزيمة، وابن حبان في صحيحه وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٦٩٧٥، وتخريج المشكاة ٢٥٧٨ .

وعن ابن حبان : ليبعثن الله هذا الركن يوم القيامة ، له عينان يبصر بهما ، ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق .

أخي ، لقد بوّب العلماء لتقبيل الحجر الأسود وفضله والمزاحمة عليه .

فقد قبّل عمر بن الخطاب الحجر ثم قال : والله لقد علمت أنك حجر ، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك[(١)].

• **فائـدة :**

المستحب في التقبيل أن لا يرفع به صوته ، عن سعيد بن جبير قال : إذا قبّلت الركن فلا ترفع بها صوتك كقبلة النساء .

وعن عمر أنه جاء للحجر فقبّله ، وقال : إني لأعلم أنك حجر ما تنفع وما تضر ، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك[(٢)].

وكيف لا يقبل أثر من آثار الجنة .. كيف لا يقبل خزانة الميثاق .. كيف لا يقبل الميمون المبارك الذي وضع شفاءً فحرمتنا منه أنجاس الجاهلية .

قال القاسم بن محمد : رأيت ابن عمر يزاحم على الركن حتى يُدمى وقال : هوت الأفئدة إليه ، فأريد أن يكون فؤادي معهم .

عن عبد الله بن عمر أنه استلم الحجر ثم قبّل يده ، وقال : ما تركته منذ رأيت رسول الله ﷺ يقبله[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم، والبخاري وابن خزيمة، وأحمد في مسنده، والدارمي، والحميدي، ومالك، وعبد الرزاق، وابن حبان واللفظ له .

(٢) أخرجه البخاري، ومسلم، وأبو داود، وأحمد، والترمذي، والنسائي والبيهقي وابن حبان.

(٣) رواه ابن حبان واللفظ له، وإسناده صحيح على شرط مسلم ، وأخرجه أحمد، ومسلم والبيهقي، والدارقطني، والأزرقي في أخبار مكة من طرق عن ابن جريج قال : قلت لعطاء : هل رأيت أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ إذا استلموا قبّلوا أيديهم ؟ فقال : نعم ، رأيت ابن عمر ، وأبا سعيد ، وجابر بن عبد الله وأبا هريرة إذا استلموا =

• السجود على الحجر الأسود :

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ سجد على الحجر[١].

قال محمد بن عباد بن جعفر : رأيت خالي ابن عباس قبّله وسجد عليه ، وقال : رأيت عمر بن الخطاب قبل الحجر وسجد عليه . وعن ابن عمر قال : رأيت عمر بن الخطاب قبل الحجر وسجد عليه ثم عاد فقبله وسجد عليه ثم قال : هكذا رأيت رسول الله ﷺ .

• تنبيـه هـام :

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : استقبل رسول الله ﷺ الحجر واستلمه ثم وضع شفتيه عليه يبكي طويلا فالتفت فإذا عمر يبكي فقال : « يا عمر ها هنا تسكب العبرات »[٢].

قبلوا أيديهم . قلت: وابن عباس ؟ قال : نعم ، وحسبت كثيرا ومعنى الاستلام : التمسح بالسَّلِمَة ، وهي الحجارة ، وقال الأزهري : وهو افتعال من السلام ، وهو التحية ، كأنه إذا استلمه اقترأ منه السلام ، وأهل اليمن يسمون الركن الأسود : المُحَيَّا ، أي : الناس يحيونه . قال ابن حجر : يستحب الجمع بين التسليم والتقبيل للحجر الأسود .

(١) أخرجه الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي .

(٢) رواه الحاكم في المستدرك وقال : هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه . وقال الذهبي: صحيح، المستدرك ١ /٤٥٤ .

قال الألباني: « ذلك من أوهامهما ، فإن محمد بن عون هذا وهو الخراساني متفق على تضعيفه ، بل هو ضعيف جدا ، وقد أورده الذهبي نفسه في [الضعفاء] وقال : قال النسائي : متروك ، وفي [الميزان] زاد : « وقال البخاري: منكر الحديث ، وقال ابن معين : ليس بشيء » . ثم ساق له الذهبي هذا الحديث مشيرا إلى أنه مما أنكر عليه . والظاهر أنه الحديث الذي عناه أبو حاتم بقوله : « ضعيف الحديث ، منكر الحديث ، روى عن نافع حديثا ليس له أصل ». وذكره ابن أبي حاتم ، وساق له في [التهذيب] هذا الحديث ثم قال : « وكأنه الحديث الذي أشار إليه أبو حاتم » ،=

كان ابن عمر إذا استلم الحجر قال : اللهم إيمانا وتصديقا بكتابك وسنة نبيك ، ثم يصلي على النبي ﷺ . رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح .

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما نزل الركن الأسود من السماء فوضع على أبي قبيس ، كأنه مهاة بيضاء فمكث أربعين سنة ثم وضع على قواعد إبراهيم . رواه الطبراني موقوفا في المعجم الكبير بإسناد صحيح .

عن عبد الله بن عمرو قال : نزل جبريل عليه السلام بهذا الحجر من الجنة فتمتعوا به فإنكم لا تزالون بخير ما دام بين أظهركم ، فإنه يوشك أن يأتي فيرجع به من حيث جاء به[١] .

○ فضل الركن اليماني والمقام ○

قال رسول الله ﷺ : « الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة »[٢] .

وقال رسول الله ﷺ : « إن الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة طمس الله نورهما ، ولو لم يطمس نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب »[٣] .

وفيما مرّ قال رسول الله ﷺ : « إن مسح الحجر الأسود والركن اليماني يحطان الذنوب حطا » .

= وقال الحافظ في [التقريب] : متروك . فالحديث ضعيف جدا » انتهى كلام الشيخ الألباني . انظر السلسلة الضعيفة ٣ /٩١ – ٩٢ الحديث رقم ١٠٢٢ .

(١) رواه الطبراني في الكبير، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣ /٢٤٢: رجاله رجال الصحيح.

(٢) صحيح : رواه الحاكم في المستدرك عن أنس وصححه، ووافقه الذهبي ، ورواه الترمذي وابن حبان وابن خزيمة عن ابن عمرو، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٣٥٥٣ .

(٣) صحيح : رواه أحمد في مسنده ، والترمذي وابن حبان في صحيحه ، والحاكم في=

عن ابن عمر قال : لم أر رسول الله ﷺ يمسح من البيت إلا الركنين اليمانيين[١] .

وخرّج النسائي : أن رسول الله ﷺ كان لا يستلم إلا الحجر والركن اليماني[٢] .

صح عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول بين الركن والحجر : ﴿ **ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار** ﴾ .

قال الدهلوي : إنما خصّ الركنين اليمانيين بالاستلام لما ذكره ابن عمر من أنهما باقيان على بناء إبراهيم عليه السلام دون الركنين الآخرين فإنهما من تغييرات الجاهلية.

وقال رحمه الله : إنما سنّ ركعتين بعد الطواف إتماما لتعظيم البيت ، وإنما خص بهما مقام إبراهيم ؛ لأنه أشرف مواضع المسجد ، وهو آية من آيات الله ، ظهرت على يد سيدنا إبراهيم عليه السلام، وتذكر هذه الأمور هي العمدة في الحج.

يا أبا الأنبياء يا عزيز الجناب جئت أرجو الهدى ونور المتاب
سجدت مهجتي وجسمي وروحي في مقام العلى وساح الطلاب

○ فوائـــد ○

الملتزم : هو ما بين الباب – باب الكعبة – والحجر الأسود ، على ما روينا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الفاسي في [العقد الثمين]: يستجاب الدعاء فيه. وجرب ذلك من زمن ابن عباس إلى عصرنا.

= المستدرك وابن خزيمة عن عبد الله بن عمرو، وصححه السيوطي والحاكم، والألباني في صحيح الجامع برقم ١٦٢٩ وشعيب الأرناؤوط في تحقيق الإحسان برقم ٣٧١٠.

(١) إسناده صحيح : رواه ابن حبان واللفظ له، وأخرجه أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود والنسائي، والبيهقي، والبغوي .

(٢) رواه النسائي عن ابن عمر، وصححه السيوطي، والألباني في صحيح الجامع برقم ٤٧٣١ .

المستجاب : هو ما بين الركن اليماني والباب المسدود في دبر الكعبة قال الفاسي : روينا في استجابة الدعاء فيه خبرا في مجابي الدعوة لابن أبي الدنيا .

أمّا الحطيم : فهو ما بين الحجر الأسود ومقام إبراهيم وزمزم والحِجْر .

وقيل : إن « الحطيم » هو الموضع الذي فيه الميزاب . وهذا في كتب الحنفية وعليه فيكون « الحطيم » الحِجْر بسكون الجيم . وقيل فيه غير ذلك .

وسمي بالحطيم ؛ لأن الناس كانوا يحطمون هنالك بالأيمان ، فقلّ من دعا هنالك على ظالم إلّاهلك، وقلّ من حلف هنالك آثما إلا عُجِّلتْ له العقوبة، وقيل في سبب تسميته بالحطيم غير ذلك.

- **وأما بقية المواضع التي يستجاب فيها الدعاء :**

فكثير منها مذكور في رسالة الحسن البصري ؛ لأن فيها أن الدعاء يستجاب في خمسة عشر موضعا :

- أولها عند الملتزم .
- وتحت الميزاب .
- وعند الركن اليماني .
- وعلى الصفا .
- وعلى المروة .
- وبين الصفا والمروة .
- وبين الركن والمقام .
- وفي جوف الكعبة .
- وبمنى .
- وبجمع .
- وبعرفات .
- وعند الجمرات الثلاث .

– وهذه أربعة عشر موضعا ، والظاهر أنه سقط منها موضع لعلّه أن يكون خلف المقام ، ويحتمل أن يكون في الطواف ؛ لأنه روي عن الحسن البصري رحمه الله تعالى : أن الحجر الأسود يستجاب عنده الدعاء ، فتصير المواضع ستة عشر . انتهى .

ومن المواضع التي يُرجى فيها استجابة الدعاء في المسجد الحرام باب بني شيبة ، وباب إبراهيم ، وباب النبي ﷺ ، وهو باب المسجد الذي يعرف الآن بباب الجنائز[1] ا هـ .

○ الحِجْر المكرم – حجر إسماعيل عليه السلام ○ والمواضع التي صلى فيها النبي ﷺ حول الكعبة

قال الفاسي في [العقد الثمين] :

« الحِجْر »: هو ما بين الركن الشامي الذي يقال له العراقي والركن الغربي، روينا في تاريخ الأزرقي عن أبي إسحاق قال : وجعل إبراهيم الحِجْر – أي : جنب البيت – عريشا من أراك تقتحمه العنز ، وكان زربيا لغنم إسماعيل . انتهى .

وقد تقدم في خبر عمارة الكعبة أن قريشا أدخلت في الحجر منها أذرعا لقصر النفقة الحلال التي أعدوها لعمارتها ، وأن ابن الزبير أدخل ذلك فيها ، وأن الحجّاج أخرج ذلك منها ، وردّه إلى ما كان عليه في عهد قريش والنبي ﷺ .

واستمر ذلك إلى الآن فصار بعض الحِجْر من الكعبة ، وبعضه ليس منها .

وقد اختلفت الروايات عن عائشة رضي الله تعالى عنها في مقدار ما في الحجر من الكعبة .

(١) العقد الثمين ص ٧٥ ، ٧٦ .

ففي رواية : قريب من تسعة أذرع .
وفي رواية : ستة أذرع أو نحوها .
وفي رواية : ستة أذرع .
وفي رواية : خمسة أذرع .

وهي روايات صحيحة الإسناد .

واختلاف الروايات عن عائشة رضي الله عنها في قدر ما في الحجر من الكعبة لا يقتضي ترك العمل بما روي عنها من أن بعض الحجر من البيت ، وإنما يقتضي أن يعمل في مقدار ما في الحجر من الكعبة بأكثر الروايات في ذلك . والله أعلم .

عن ابن عباس رضي الله عنهما ، « صلوا في مصلى الأخيار » وسئل عن ذلك فقال : « تحت الميزاب » . أخرجه الأزرقي .

عن عطاء قال : من قام تحت ميزاب الكعبة فدعا ؛ استجيب له وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه .

وعنه أيضا : من قام تحت مثعب الكعبة يعني : ميزابها . أخرجه الأزرقي .

وعن عثمان رضي الله عنه : أنه وقف تحت الميزاب يدعو . وقال : ما زلت قائما على باب الجنة .

وفي الحِجْر قبر إسماعيل عليه السلام مع أمه هاجر وقيل : إنه في الحطيم[1] .

وينبغي توقي النوم فيه والاحتراز من بدعتين أحدثهما الناس لا أصل لهما على ما ذكر ابن جماعة .

إحداهما : في وقوفهم في فتحتي الحجر للصلاة والسلام على النبي ﷺ .
والأخرى : استقبالهم جهة النبي ﷺ في فتحتي الحجر للدعاء واستدبارهم للقبلة ، والمعروف في آداب الدعاء استقبالها . هذا معنى كلامه .

(١) في كل هذه الآثار نظر .

قال : والله يوفقنا لاجتناب البدعة واتباع السنة بمنِّه وكرمه .

• وأما المواضع التي صلى فيها النبي ﷺ حول الكعبة :

فذكرها المحب الطبري في كتابه [القرى] بدلالتها، ونشير هنا لشيء من ذلك:

الموضع الأول : خلف مقام إبراهيم عليه السلام .

الثاني : تلقاء الحجر الأسود على حاشية المطاف .

الثالث : قريب من الركن الشامي مما يلي الحجْر بسكون الجيم .

الرابع : عند باب الكعبة .

الخامس : تلقاء الركن الذي يلي الحِجْر من جهة المغرب جانحا إلى جهة المغرب قليلا ، بحيث يكون باب المسجد - الذي يقال له اليوم باب العمرة - خلف ظهره .

السادس : في وجه الكعبة .

السابع : بين الركنين اليمانيين .

الثامن : الحِجْر[1] .

○ الطَّوَاف ○

لو لم يكن للطواف من فضل إلا قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود** ﴾ لكفاه .

قال رسول الله ﷺ : « الطواف بالبيت صلاة ، ولكن الله أحل فيه المنطق ، فمن نطق فلا ينطق إلا بخير »[2] .

---

(١) العقد الثمين ص ٧٩ - ٨٢ .

(٢) صحيح : رواه الطبراني في الكبير ، والحاكم في المستدرك ، والبيهقي في سننه، وابن حبان في صحيحه، وأبو نعيم في الحلية، والدارمي وابن الجارود، وابن عدي في الكامل، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٣٨٤٩، وشعيب الأرناؤوط في تحقيق

وقال رسول الله ﷺ : « الطواف حول البيت مثل الصلاة ، إلا أنكم تتكلمون فيه ، فمن تكلم فيه فلا يتكلم إلا بخير »(١).

وقال ﷺ : « الطواف صلاة ، فأقلوا فيه الكلام »(٢).

قد طفت من حولها سبعا و لم أُفِقِ   نشوان في رحبها من مِسكها العبقِ
يـأيها الحرم المحمـيّ جانبـه   ارحم ضراعة عبد صَيِّب الحدَقِ

قال المناوي : الطائف بالبيت له ثواب كثواب المصلي لأنه جعله صلاة ، لكن لا يشاركه في الرحمة المختصة بالمصلي ، وأن إقلال الكلام فيه مستحب ما أمكن ، فإذا أمكن الأمر بمعروف أو النهي عن منكر فيه بالإشارة فالأولى أن لا يعدل إلى الكلام . وقال أبو زرعة : إنه صلاة حقيقة ، وكل ما يشترط في الصلاة يشترط فيه .

عن ابن عباس أن النبي ﷺ شرب ماءً في الطواف(٣).

عن ابن عباس قال: سقيت رسول الله ﷺ من ماء زمزم فشربه وهو قائم(٤).

= الإحسان رقم ٣٨٣٦ .

(١) صحيح : رواه الترمذي، والحاكم في المستدرك، والبيهقي في سننه عن ابن عباس، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٣٨٥٠ .

(٢) صحيح : رواه الطبراني في الكبير عن ابن عباس، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٣٨٥١ . صححه ابن الملقن وابن حجر، وحسنه السيوطي .

(٣) إسناده صحيح : رواه ابن حبان واللفظ له، وابن خزيمة، والحاكم، والبيهقي، وصححه الشيخ شعيب الأرناؤوط .

(٤) إسناده صحيح على شرط الشيخين : رواه ابن حبان في صحيحه واللفظ له ، والنسائي والترمذي في [الشمائل] وأحمد .

وكان رسول الله ﷺ إذا طاف بالبيت استلم الحجر والركن في كل طواف[(١)].

وكان يلزق صدره ووجهه بالملتزَم[(٢)].

قال المناوي : تبركا وتيمنا به ، سمي به ؛ لأن الناس يعتنقونه ويضمونه إلى صدورهم ، وصحّ ما دعا به ذو عاهة إلا بَرِىء أي:بصدق النية ، وتصديق الشارع ، والإخلاص ، وغير ذلك مما يعلمه أهل الاختصاص .

عن محمد بن المنكدر عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « من طاف بالبيت أسبوعا لا يلغو فيه كان كعدل رقبة يعتقها »[(٣)].

وعن جبير بن مطعم قال : قال رسول الله ﷺ : « يا بني عبد مناف ، لا تمنعوا أحدا طاف بهذا البيت ، وصلى أي ساعة شاء من ليل أو نهار »[(٤)].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من طاف بالبيت سبعا وصلى ركعتين ، كان كعتق رقبة »[(٥)].

وعنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من طاف بهذا البيت أسبوعا ، فأحصاه ، كان كعتق رقبة ، لا يضع قدما ، ولا يرفع أخرى ، إلا حطّ الله عنه

---

(١) صحيح : رواه الحاكم في المستدرك عن ابن عمر، وأحمد في مسنده، والبيهقي في السنن، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٤٦٢٧

(٢) حسن : رواه البيهقي في سننه عن ابن عمرو وضعفه السيوطي، وقال الذهبي : فيه مثنى بن الصباح لين، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم ٤٨٨٨ ، وأخرجه عبد الرزاق ، وأبو داود، وابن ماجة .

(٣) رواه الطبراني في الكبير ، وقال الهيثمي في المجمع ٣ /٢٤٥ : رجاله ثقات .

(٤) رواه أحمد، والترمذي، والنسائي، وأبو داود، وابن ماجة، والحاكم في المستدرك عن جبير بن مطعم ، ورواه البزار عن جابر، وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح، وصححه الألباني . انظر صحيح الجامع رقم ٧٧٧٧ .

(٥) صحيح : رواه ابن ماجة، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٦٢٠٥ .

بها خطيئة ، وكتب له بها حسنة »[١].

عن سعد بن مالك قال : طفنا مع رسول الله ﷺ ، فمنّا من طاف سبعا ، ومنّا من طاف ثمانيا ، ومنّا من طاف أكثر من ذلك ، فقال رسول الله ﷺ : « ولا حرج »[٢].

• **الطواف من وراء الحِجْر :**

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ما طاف رسول الله ﷺ بشيء إلا وهو من البيت[٣].

• **الرّمل في الطواف :**

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قدم رسول الله ﷺ وأصحابه ، فقال المشركون : إنه يقدم عليكم وقد وَهَنَهم حمى يثرب . فأمرهم النبي ﷺ أن يرملوا الأشواط الثلاثة وأن يمشوا بين الركنين ، ولم يمنعه أن يأمرهم أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم . رواه البخاري .

وأخرج البخاري عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سعى النبي ﷺ ثلاثة أشواط ومشى أربعة في الحج والعمرة .

عن سالم عن أبيه رضي الله عنه قال : رأيت رسول الله ﷺ حين يقدم مكة إذا استلم الركن أول ما يطوف يَخُبُّ[٤] ثلاثة أطواف من السبع .

---

(١) صحيح : رواه الترمذي، والنسائي، والحاكم في المستدرك، وابن خزيمة، وابن حبان وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٦٢٥٦ .

(٢) رواه أحمد، وقال الهيثمي في المجمع : فيه حجاج بن أرطاة وحديثه حسن .

(٣) رواه أبو يعلى ، وقال الهيثمي في المجمع ٣ /٢٤٧ : إسناده حسن .

(٤) يَخُب : بفتح أوله وضم الخاء المعجمة أي: يسرع في مشيه ، والخَبَبُ بفتح المعجمة والموحدة : العدو السريع ، يقال : خبت الدابة إذا أسرعت وراوحت بين قدميها .

وروى البخاري عن أسلم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال للركن : أما والله إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت النبي ﷺ استلمك ما استلمتك . فاستلمه ثم قال : ما لنا وللرَّمَل[١] ، إنما كنا راءَيْنا[٢] به المشركين ، وقد أهلكهم الله . ثم قال : شيء صنعه النبي ﷺ فلا نحب أن نتركه .

روى البخاري عن عُبيد الله قلت لنافع : أكان ابن عمر يمشي بين الركنين ؟ قال : إنما كان يمشي ليكون أيسر لاستلامه .

الرمل في بعض الطواف مشروع وهو الذي عليه الجمهور . وقال ابن عباس : ليس هو بسنة . قال ابن حجر في [الفتح] (٣ /٥٥١) : « اقتصروا عند مراءاة المشركين على الإسراع إذا مروا من جهة الركنين الشاميين ؛ لأن المشركين كانوا بإزاء تلك الناحية ، فإذا مروا بين الركنين اليمانيين مشوا على هيئتهم كما هو بيّن في حديث ابن عباس ، ولما رملوا في حجة الوداع أسرعوا في جميع كل طوفة[٣] فكانت سنة مستقلة ، ولهذه النكتة سأل عبيد الله بن عمر نافعا عن مَشْي عبد الله بن عمر بين الركنين اليمانيين فأعلمه أنه إنما كان يفعله ليكون أسهل عليه في استلام الركن ، أي : كان يرفق بنفسه ؛ ليتمكن من استلام الركن عند الازدحام . وهذا الذي قاله نافع إن كان استند فيه إلى فهمه فلا يدفع احتمال

(١) الرَّمَل : بفتح الراء والميم هو الإسراع ، وقال ابن دريد : هو شبيه بالهرولة ، وأصله أن يحرك الماشي منكبيه في مشيه .

(٢) راءينا بوزن فاعلنا من الرؤية أي : أريناهم بذلك أنا أقوياء. قاله عياض ، وقال ابن مالك : من الرياء أي أظهرنا لهم القوة ونحن ضعفاء . قال ابن حجر : « استشكل قول عمر » راءينا ، مع أن الرياء بالعمل مذموم ، والجواب أن صورته وإن كانت صورة الرياء، لكنها غير مذمومة؛ لأن المذموم أن يظهر العمل ليقال إنه عامل ولا يعمله إذا لم يره أحد ، وأما الذي وقع فهو من قبيل المخادعة في الحرب .

(٣) ظاهر حديث سالم عن أبيه أن الرمل يستوعب الطوفة ، فهو مغاير لحديث ابن عباس الذي قبله؛ لأنه صريح في عدم الاستيعاب .

أن يكون ابن عمر فعل ذلك اتباعا للصفة الأولى من الرمل لما عرف من مذهبه في الاتباع » اهـ .

قال ابن حجر : هَمَّ عمر بترك الرمل في الطواف ؛ لأنه عرف سببه وقد انقضى فهمّ أن يتركه لفقد سببه ، ثم رجع عن ذلك لاحتمال أن تكون له حكمة ما اطّلع عليها ، فرأى أن الاتباع أولى من طريق المعنى، وأيضا إن فاعل ذلك إذا فعله تذكر السبب الباعث على ذلك فيتذكر نعمة الله على إعزاز الإسلام وأهله[1].

قال الدهلوي في [حجة الله البالغة] :

« الابتداء بالحجر؛ لأنه وجب عند التشريع أن يعين محل البداءة وجهة المشي، والحجر أحسن مواضع البيت ؛ لأنه نازل من الجنة ، واليمين أيمن الجهتين .

وطواف القدوم بمنزلة تحية المسجد ، إنما شرع تعظيما للبيت ، ولأن الإبطاء بالطواف في مكانه وزمانه عند تهيؤ أسبابه سوء أدب .

وأول طواف بالبيت فيه رَمَل واضطباع[2]، وبعده سعي بين الصفا والمروة ، وذلك لمعان : منها :

ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما : من إخافة قلوب المشركين ، وإظهار صولة المسلمين فهو فعل من أفعال الجهاد وهذا السبب قد انقضى ومضى .

ومنها تصوير الرغبة في طاعة الله ، وأنه لم يزده السفر الشاسع ، والتعب العظيم إلا شوقا ورغبة ، كما قال الشاعر :

إذا اشتكت من كلال السير واعدها روح الوصال فتحيا عند ميعادِ[3]

---

(١) فتح الباري ٣ /٥٥١ .

(٢) الاضطباع: هي هيئة تعيق إسراع المشي بأن يدخل رداءه تحت إبطه الأيمن، ويرد طرفه على منكبه الأيسر فيبدي منكبه الأيمن، ويستر الأيسر ، وهو مستحب عند الجمهور سوى مالك ، قال ابن المنذر [فتح الباري ٣ /٥٥١] .

(٣) حجة الله البالغة ٢ /٦٠ - ٦١ .

• **فائدة عن الرَّمَل :**

- قال ابن حجر : لا يشرع تدارك الرمل ، فلو تركه في الثلاث لم يقضه في الأربع ؛ لأن هيئتها السكينة ؛ فلا تُغَيَّر .
- يختص بالرجال فلا رمل على النساء .
- يختص بطواف يعقبه سعي على المشهور .
- لا فرق في استحبابه بين ماش وراكب .
- لادم بتركه عند الجمهور . واختلف عند المالكية .

قال الطبري : قد ثبت أن الشارع رمل ولا مشرك يومئذ بمكة يعني : في حجة الوداع ، فعلم أنه من مناسك الحج إلا أن تاركه ليس تاركا لعمل بل لهيئة مخصوصة فكان كرفع الصوت بالتلبية ، فمن لبّى خافضا صوته لم يكن تاركا للتلبية ؛ بل لصفتها ولا شيء عليه[1] .

كان معاوية رضي الله عنه يستلم الأركان ، فقال له ابن عباس رضي الله عنهما : إنه لا يُستَلَم هذان الركنان . فقال : ليس شيء من البيت مهجورا . وكان ابن الزبير يستلمهن كلهن .

وعن محمد بن كعب القرظي ، أن ابن عباس كان يمسح الركن اليماني والحجر ، وكان ابن الزبير يمسح الأركان كلها ويقول : ليس شيء من البيت مهجورا ، فيقول ابن عباس : ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة** ﴾ .

عن ابن عمر رضي الله عنهما : إنما ترك رسول الله ﷺ استلام الركنين الشاميين ؛ لأن البيت لم يتمم على قواعد إبراهيم .

وممن كان يستلم الأركان كلها أبو الشعثاء وعروة بن الزبير وسويد

= معنى البيت : أن الناقة إذا اشتكت من التعب في السير يَعُدها الراكب راجة – وصال المحبوب – فتحيا عند ذلك الوعد شوقا ورغبة .

(١) فتح الباري ٣ /٥٥٣ .

ابن غفلة ومن الصحابة : جابر وأنس والحسن والحسين .

قال ابن حجر : والجمهور على ما دل عليه حديث ابن عمر .

وقال بعض أهل العلم : اختصاص الركنين مبيّن بالسنة ، ومستند التعميم القياس ، وأجاب الشافعي عن قول من قال : ليس شيء من البيت مهجورا ؛ بأنّا لم ندع استلامهما هجرًا للبيت ، وكيف يهجره وهو يطوف به ، ولكنا نتبع السنة فعلا وتركا ، ولو كان ترك استلامهما هجرا؛ لكان ترك استلام ما بين الأركان هجرًا له ، ولا قائل به .

• **فائـــدة :**

في البيت أربعة أركان : الأول له فضيلتان : كون الحجر الأسود فيه ، وكونه على قواعد إبراهيم ، وللثاني الثانية فقط ، وليس للآخرين شيء منهما ، فلذلك يقبل الأول ويستلم الثاني فقط ولا يقبل الآخران ولا يستلمان ، هذا على رأي الجمهور ، واستحب بعضهم تقبيل الركن اليماني أيضا[1].

• **التكبير عند الركن :**

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : طاف النبي ﷺ بالبيت على بعير ، كلما أتى الركن أشار إليه بشيء كان عنده وكبّر . رواه البخاري .

وفي الحديث : استحباب التكبير عند الركن الأسود في كل طوفة .

يجوز للطائف فعل ما خف من الأفعال وتغيير ما يراه الطائف من المنكر . وفيه الكلام في الأمور الواجبة والمستحبة والمباحة .

قال ابن المنذر : أولى ما شغل المرء به نفسه في الطواف ذكر الله وقراءة القرآن ، ولا يحرم الكلام المباح إلا أن الذكر أسلم . وحكى ابن التين خلافا في كراهة الكلام المباح ، وعن مالك تقييد الكراهة بالطواف الواجب .

(١) فتح الباري ٣ /٥٥٤ – ٥٥٥ .

قال ابن المنذر : واختلفوا في القراءة ، فكان ابن المبارك يقول : ليس شيء أفضل من قراءة القرآن ، وفعله مجاهد ، واستحبه الشافعي وأبو ثور ، وقيّده الكوفيون بالسر ، وعن عروة والحسن كراهته ، وعن عطاء ومالك أنه محدث ، وعن مالك : لا بأس به إذا أخفاه ولم يكثر منه .

قال ابن المنذر : من أباح القراءة في البوادي والطرق ومنعه في الطواف لا حجة له[١].

• لا يطوف بالبيت عريان[٢]:

« ذكر ابن إسحاق في سبب هذا الحديث أن قريشا ابتدعت قبل الفيل أو بعده أن لا يطوف بالبيت أحد ممن يقدم عليهم من غيرهم أول ما يطوف إلا في ثياب أحدهم ، فإن لم يجد طاف عريانا ، فإن خالف وطاف بثيابه ألقاها إذا فرغ ثم لم ينتفع بها ، فجاء الإسلام فهدم ذلك كله » .

من أقيمت عليه الصلاة وهو في الطواف فقطعه ، أن يبني على ما مضى ، وقيده مالك بصلاة الفريضة وهو قول الشافعي ، واختار الجمهور قطعه للحاجة .

عن عطاء أنه كان يقول : في الرجل يطوف بعض طوافه ثم تحضر الجنازة ، يخرج فيصلي عليها ، ثم يرجع فيقضي ما بقي عليه من طوافه .

• صلاة النبي ﷺ لسبوعه[٣] ركعتان :

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قدم رسول الله ﷺ فطاف بالبيت سبعا ثم صلى خلف المقام ركعتين . رواه البخاري .

ركعتا الطواف لكل أسبوع سنة . وهذا قول الجمهور . وقد أجمع أهل العلم على أن الطائف تجزئه ركعتا الطواف حيث شاء .

(١) فتح الباري ٣ /٥٦٤ .

(٢) جزء من حديث رواه أبو هريرة، وأخرجه البخاري .

(٣) السبوع : لغة قليلة في الأسبوع . قال ابن التين : هو جمع سُبْع .

قال ابن المنذر : رخّص في الصلاة بعد الطواف في كل وقت جمهور الصحابة ومن بعدهم[١].

باشتراط الوضوء للطواف قال الجمهور .

• وأخيـرًا :

قـال ابـن حجـر : استنبط ابـن عبد السلام أن الطواف أفضـل أعمـال الحج ؛ لأن الصلاة أفضل من الحج فيكون ما اشتملت عليه أفضل . قال : وأما حديث « الحج عرفة » فلا يتعين ، التقدير: معظم الحج عرفة ، بل يجوز إدراك الحج بالوقوف بعرفة . قلت : وفيه نظر ، ولو سلم[٢]. فما لا يتقوم الحج إلا به أفضل مما ينجبر ، والوقوف والطواف سواء في ذلك فلا تفضيل .

ستورُ بيتك نيلُ الأمن منك وقدْ علقتها مستجيراً أيها الباري
وما أظنك لمّا أن علقت بها خوفًا من النار تدنيني من النار
وها أنا جار بيت أنت قلت لنا حجوا إليه وقد أوصيت بالجار[٣]

• ملحوظة هامة :

اعلم أن بعض أهل التأويل أورد على أهل السنة شبهة في الصفات ، وادعى أن أهل السنة صرفوها عن ظاهرها ليلزم أهل السنة بالموافقة على التأويل أو المداهنة فيه ، ومن هذه النصوص قالوا : « الحجر الأسود يمين الله في الأرض »[٤].

---

(١) فتح الباري ٣ /٥٧١ .

(٢) فتح الباري ٣ /٥٦٣ .

(٣) مختصر منهاج القاصدين ص ٤٨ تحقيق شعيب وعبد القادر الأرناؤوط – دار الهجرة .

(٤) **حديث ضعيف** : أخرجه الخطيب في تاريخه وابن عدي في الكامل وعزاه الألباني في الضعيفة (١ / ٢٥٧) لابن خلاد في الفوائد وابن بشران في « الأمالي » وفي إسناده إسحاق بن بشر الكاهلي كذّبه أبو بكر بن أبي شيبة وأبو زرعة . وقال الخطيب: يروى عن مالك وغيره من الرفعاء أحاديث منكرة ، وقال ابن عدي عقب الحديث : « هو في عداد من يضع الحديث » وكذا قال الدارقطني كما في الميزان (١ / ١٨٦) .

وقال بعض الدعاة المعاصرين رحمه الله: إن الإمام أحمد اضطر إلى التأويل في هذا الموضع ضمن ثلاثة مواضع أوّل فيها ، مع أن الإسناد إلى الإمام أحمد لا يصح وفيه حنبلي مجهول كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله .

والجواب عنه كما قال الشيخ ابن عثيمين حفظه الله في « القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى » ص ٥٥ : إنه حديث باطل لا يثبت عن النبي ﷺ . قال ابن الجوزي في العلل المتناهية : « هذا حديث لا يصح » وقال ابن العربي : « حديث باطل فلا يلتفت إليه » وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « رُوِيَ عن النبي بإسناد لا يثبت » اهـ وعلى هذا فلا حاجة للخوض في معناه لكن قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « والمشهور يعني في هذا الأثر إنما هو عن ابن عباس قال : « الحجر الأسود يمين الله في الأرض فمن صافحه وقبّله فكأنما صافح الله وقبل يمينه »[1] ومَنْ تدبّر اللفظ المنقول تبين له أنه لا إشكال فيه فإنه قال : « يمين الله في الأرض » ولم يطلق فيقول : « يمين الله » وحُكْم اللفظ المقيد يُخالف حكم المطلق ثم قال : « فمن صافحه وقبّله فكأنما صَافح الله وقبّل يمينه » وهذا صريح في أنّ المُصَافِح لم يصافح يمين الله أصلا ولكن شبه بمن يُصافح الله فأوّل الحديث وآخره يبين أن الحجر ليس مِنَ صفات الله تعالى كما هو معلوم عند كل عاقل » اهـ من مجموع الفتاوي [٦ / ٣٩٨] .

(١) **ضعيف** : أخرجه ابن قتيبة في غريب الحديث عن ابن عباس كما في الضعيفة للألباني (١ / ٢٧٧) وفيه إبراهيم بن يزيد وهو الخوزي وهو متروك كما قال أحمد والنسائي وانظر ترجمته في الميزان (١ / ٧٥) .

قال الألباني في الضعيفة (١ / ٢٥٧ - ٢٥٨): إذا عرفت ذلك فمن العجائب أن يسكت عن الحديث الحافظ ابن رجب في ذيل الطبقات (٧ / ١٧٤ - ١٧٥) ويتأول ما روي عن ابن الفاعوس الحنبلي أنه كان يقول : « الحجر الأسود يمين الله حقيقة » بأن المراد بيمينه أنه محل الاستلام والتقبيل وأن هذا المعنى هو حقيقة في هذه الصورة وليس مجازا ، وليس فيه ما يوهم الصفة الذاتية أصلا ، وكان يغنيه عن ذلك كله التنبيه على ضعف الحديث وأنه لا داعي لتفسيره أو تأويله لأن التفسير فرع التصحيح كما لا يخفى . اهـ